


# رضا نور

## عملي كطبيب حر

ثم أخذت في العمل طبيبا حرا. كنت أكسب كثيرا في العامين الاولين أثناء عملي مساعدا في المستشفى. كنت أخجل من النظر بدقة في وجه النساء المريضات. كنت اضغط خفيفا بقدر الامكان أثناء ما كنت استمع الى دقات قلوبهن اثناء الكشف الطبي عليهم.

## الطبيب والشرف

عالجت ابن عائلة غنية ضخمة. نجحت في علاجه. ملأوا يدي بالذهب. وبالتالي حزت على ثقة هذه الأسرة. أصبحت طبيبهم. وبالتالي كنت اخذ منهم أجرة جيدة.

كانت الزوجة في الاسرة شابة جميلة مثقفة وذكية. كان زوجها قبيح الشكل، جاهلا. وغالبا كانت الزوجة تنفر من زوجها سمعت أنها تمتدحني في كل مكان تذهب اليه. وبالتالي كان زبائني يكثرون. بدأت ترمقني بنظرات ذات مغزى. تجاهلت نظراتها. وذات مرة استدعتني هذه الاسرة فذهبت. دخلت الحجرة. نزعت سيفي ووضعته جانبا. جاءت السيدة والاولاد وبعض الجواري. أمرتني بالكشف على بعض هؤلاء. نفذت أمرها ثم كتبت الروشتات. ثم قالت السيدة للجميع: هيا اذهبوا! ثم اغلقت الباب خلفهم ثم جاءت وجلست بجانبي. تغير وضعها. ساءت حالتي. دخلت في صراع مع نفسي. أنا شاب والنار تعتمل في نفسي. لكني فكرت جيدا. وضعت نصب عيني: الشرف والعفة تجاه المرضى، والمهنة والواجب. واتخذت قراري سريعا. نهضت وابتعدت وجلست على مقعد بعيد. وفجأة غضبت السيدة. عبس وجهها، وقدحت عيناها شرارا. نظرت الي نظرة حادة ممتلئة بالاحتقار. خرجت السيدة بعد أن أغلقت الباب بشدة وكأنها تضربه في وجهي. ثم خرجت من هذا المكان. وكان الخروج هو الخروج اذ لم تستدعني هذه الأسرة مرة أخرى. وتحول مديح هذه السيدة الى ذم بل والى اتهامي بالجهل.

ذات مرة تسلطت على زوجة صديق لي. رفضت فاشتكت لزوجها بأني اعتديت عليها.

## نصف شرفي يضيع

كانت هذه الاحداث بالنسبة لي بمثابة دروس عظيمة. وأخيرا طبقت المبدأ التالي في حياتي: الطلب ممن لا يطلب عدم شرف بالنسبة للطبيب، ولا بد من الموافقة والقبول في حالة الطلب. لان هذا شيء ضروري. طبقت هذا المبدأ في حياتي من بعد. فانتهى نصف شرفي.

ثم أصبحت «معاون معلم» للامراض الداخلية في المدرسة الطبية. كان المعلم يلقي دروسه وكنت استمع اليه مثل الطلبة. فقد كنت اجلس بجواره. وفي العام التالي لهذا قمت بتدريس جهاز التنفس وسعدت بهذا كثيرا.

حياتي في الطب استمرت من عام ١٣١٧ حتى عام ١٣٢٤ رومي.

## عهد الاشتغال بالسياسة افتتاح مجلس المبعوثان

**كنت أسكن في حي مقرى كوى (باستانبول) كنا نسكن هناك مع أمر الله افندي الذي صار بعد ذلك وزيرا للمعارف، ومع سعيد افندي، وعبدالحق بك مدير مدرسة الحقوق. كنا نجتمع في الامسيات لمناقشة مشاكلنا ومشاكل الامة والدولة. كنا بمثابة خلية، وكانت منطقة الروملي (الجزء الاوروبي من الدولة العثمانية) تغلي في ذلك الوقت ايضا كانت تدور محادثات دولية في عيفال، وفي هذه المباحثات كانت مسألة تقسيم تركيا تحتل مكانة في هذه المحادثات.**

**ذات يوم وكنت في المنزل، أخذت أقرأ في الجريدة، فشد انتباهي خبر صغير منشور بطريقة مهملة، كان نصه: صدرت الارادة السنية بافتتاح مجلس المبعوثان. ان خبرا مثل هذا الخبر، كان لا بد وأن يكون في الصفحة الاولى. فكرت سريعا، قلت لنفسي: ان هذه لعبة!**

**ضغطوا على عبدالحميد فاضطر لنشر هذا الاعلان. وسيلعب بهذا. ثم سيحدث ما حدث للمجلس السابق وسيعلق على الرف. لا بد من فرض الأمر الواقع والعمل على تثبيت دعائم المشروطية. لا بد من اثارة الشعب واطلاقه الى الشوارع. وبهذا الشكل سيخاف عبدالحميد، ولا يستطيع التراجع عن قراره بافتتاح مجلس المبعثان.**

## أحرض طلابي على الثورة ضد عبد الحميد

قلت لاصحابي: «سأذهب

بنفسي الى الطبية لاثير طلابها» استحسن اصحابي وجيراني الفكرة وقالوا: «في هذا خير». أثرت الطلاب وخرجنا في مظاهرة، اخذنا معنا بعض الاهالي. حملني بعضهم على أكتافه. سألني المتظاهرون: الى اين؟ قلت لهم: «الى السفارة الانكليزية» كنت أظن ان انكلترا ستساعدنا وتضغط على السلطان عبد الحميد فيعلن المشروطية. اعددت خطبة لالقيها.

## اعجابي بانكلترا

اخذت القي الخطبة في جموع طلابي المحتشدين امام السفارة الانكليزية. اخذ لساني يلهج بالدعاء لانكلترا واخذت اثني على الصداقة الانكليزية التركية. كنت اقول: «فلتملأ اساطيل انكلترا كل بحار العالم، لتتقدم انكلترا بالعمل، فلتؤيد انكلترا الاتراك في محاولة نيلهم حريتهم (من السلطان عبدالحميد). تلوت هذه الخطبة ثم سلمتها الى السفارة الانكليزية باستانبول. كنت في ذلك الوقت في الثلاثين من عمري. كنت طبيبا وكنت استاذا (بروفيسورا). لكني كنت غافلا.

## المانيا وفرنسا مسرورتان بمظاهرتنا ضد عبدالحميد

أحيطت السفارتان الالمانية والفرنسية في استانبول خبرا بمظاهرتنا. أرسلت كل من السفارتين الينا اثناء التظاهر بان نذهب بجمهرتنا الى كل واحدة منهما. رفضت انا هذا. التقطت جريدة المانية صورتين لمظاهرتنا هذه ونشرتهما. ارسلوهما الي ايضا.. انتابني الفرح لذلك.

## عبد الحميد يستطيع القضاء علينا ولم يفعل

كنت افكر وأنا خائف. غالبا كنت مجنونا. كانت هذه ثورة، ولو عزم عبد الحميد وارسل الينا مفرزة عسكرية لتقضي الامر وانتهينا، خاصة ان لم يكن في يد احد منا اي نوع من الاسلحة. كنا سنموت لا محالة. لكن عبد الحميد لم يفعل.

## اهل سينوب يرشحونني للبرلمان

اراد اهل بلدي سينوب ترشيحي لعضوية مجلس المبعوثان، فأرسلوا الي خطابات بهذا الشأن. لم اهتم بذلك كثيرا. قلت: «ان هؤلاء الناس جهلة. هل من المعقول اني اصلح عضوا بالبرلمان. ان هذا عمل محترم ويحتاج الى معلومات سياسية ضخمة! لكنهم اصروا، وكان لا بد لي ان اختار شخصا آخر معي عن منطقتنا (سينوب) في البرلمان. كان امامنا الشيخ حسن فهمي مفتي سينوب وكان الاهالي يتحدثون عنه بخير وتم الامر وانا في سينوب.

## الشيخ حسن فهمي زميلي في البرلمان

وكان علينا -انا والشيخ حسن فهمي- ان نعود الى استانبول. (ونظرا لانه شيخ) فلم تستطيع جمعية الاتحاد والترقي (وهي القابضة على زمام الامور) ان تهضم باي شكل من الاشكال عضوية الشيخ للبرلمان. اقترح الاتحاديون عليه ان يستقيل. لم يستقل. لم يكن يود ترك عضوية البرلمان. في هذه المرة ارسل له الاتحاديون يقولون له انه بمجرد وصولك الى استانبول ستأخذك من السفينة وتلقي بك في البحر. خاف. احتمى بي. طمأنته.

## الشيخ ينضم الى الماسونية

**وصلنا استانبول خلال اليومين او الثلاثة الاولى من وصولنا، كان الشيخ حسن فهمي يهتم بي ويسأل عني ويتصل بي. ثم اختفى. علمت بعد ذلك انه اتصل بالاتحاديين وتقرب اليهم وأخذ يتواءم معهم، مع انه كان أقسم على القرآن ونحن في سينوب أن لا يتعاون معهم أبدا. لم يوف بكلمته لأهالي سينوب (الذين كانوا يكرهون الاتحاديين)، لكنه -والحق يقال- ظل مخلصا في كلمته للاتحاديين الى آخر يوم سقط فيه الاتحاديون. والسبب في ذلك ان الاتحاديين يملكون النقود والمناصب. أصبح الشيخ ماسونيا. ووصل الامر به ان ساله غالب بك وهو من كبار العسكريين الاتحاديين ومدير الامن العام، سأل الشيخ في احد اجتماعات المحفل الماسوني الذي كان ينتمي اليه الاثنان: هل الله موجود؟ وفورا كان جواب الشيخ «لا». علم أهل سينوب بأمر الشيخ فارغوا وأزبدوا واطلقوا على الشيخ اسماء منها: «الشيخ الاحمر» و «العالم الكافر». كان الشعب في ذلك الوقت شديد التدين. كان الجامع الكبير في سينوب يمتلئ عن اخره بالمصلين. وفي الايام العادية كانت الجماعة تشكل صفين طويلين. أما الآن فلم تبق من الجماعة ادنى اثر.**

## كيف كان الاتراك يفهمون الماسونية

كانت الماسونية تعني -عند الاتراك- الالحاد والكفر. وكان الشعب يحمل للماسونيين اشمئزازا عاما وحقدا كبيرا. وكانت الحكومة في عهد عبدالحميد ضد الماسونيين. وان كان في (آخر) هذا العهد بعض محافل ماسونية في استانبول الا انها كانت مكونة من الاجانب والاروام واليهود والارمن. لم يكن فيها من الاتراك الا قليلا. نجحت هذه المحافل في تلك الاوقات في ضم السلطان مراد الخامس الى صفوف الماسونية. ومازال باسمه حتى الآن محفل ماسوني باستانبول. وكان طلعت ورحمي وزملاؤهم (من زعماء الاتحاديين) قد انضموا الى المحافل الماسونية الايطالية التبعية، والموجودة في مدينة سلانيك (في الدولة العثمانية) وكان مرشد هؤلاء جميعهم هو اليهودي قراصو. نشر هؤلاء الماسونية بين افراد المجتمع. أما رؤساء الجمعية في مناستر فقد نشروا الملامتية وكان رئيسهم ميرآلاي صادق.

## تعميم المحافل الماسونية بمجرد اسقاط نفوذ عبدالحميد

بمجرد اعلان المشروطية (بعد الضغط على عبدالحميد) جاء كل من رحمي وطلعت الى استانبول وفورا اخذا في افتتاح المحافل الماسونية. سجلوا كثيرا من الاتراك في هذه المحافل. كان جزءا هاما من هؤلاء من اليهود الدونمه. واصبح معنى جمعية الاتحاد والترقي يساوي بالضبط معنى «المحفل الماسوني».

واستخدم الاتحاديون المحافل الماسونية لتقوية قبضتهم على شئون الدولة.

## نيازي وأنور

تحررت الصحافة والمطبوعات من الرقابة. اصبح اسم كل من نيازي وأنور (من الاتحاديين) على كل الافواه. كان الناس يصيحون قائلين: «يحيا نيازي! يحيا أنور!» أصبحا بطلين قوميين نسجت حولهما الاساطير. كانا قد صعدا الى الجبل. لكن انور لم يصعد الى الجبل. اختبأ في مكان بعد ان لبس ملابس النساء خوفا من ان تقبض الحكومة عليه. كان كل من هذين الرجلين (الاتحاديين نيازي وأنور) محدودي الذكاء. نيازي صعد حقيقة الى الجبل (لاعلان تمرده ومواصلته ضد حكم عبدالحميد) لكن ما اسهل ان يكون الانسان -احيانا- بطلا قوميا. انها مسألة حظ. اغتال الارناؤوطيون (الالبانيون) نيازي في ألبانيا. على كل حال فان نيازي اظهر بطولة عندما صعد الى الجبل ليقاوم سلطة عبدالحميد.

## فريد باشا وعداوه للاتحاديين

كان الصدر الاعظم (في بعض اوقات عهد عبدالحميد) هو فريد باشا، وكنت اعرفه جيدا. كان ارناؤوطيا (ألبانيا). تعرفت به في المراحل الاولى من البرلمان. كان ضد الاتحاديين. كما كان يبدو انه يحبني. عندما يصادفني يستوقفني ليشتم الاتحاديين. كان احيانا يحاول ان يلقي الي ببعض افكاره بطريق غير مباشر. كان لسانه قذرا. دعاني ذات يوم الى منزله. في ذلك الوقت اراد الاتحاديون الاستيلاء على منزله ومصادرته. لم يكن منزلا بل كان قصرا فخما. وفريد باشا بخيل جدا. ولابد من عمل شيء ضد الاتحاديين فاخذ يحرضني على هذا. وذات يوم قلت له: «يا باشا! يمكن بالفعل القيام بشيء ضدهم، لكن اعمالا كهذه تتوقف على المال. تعهد سعادتكم بهذا. وبمجرد ان قلت له هذا ضغط على يدي مصافحا وتركني وذهب. ومنذ ذلك الوقت اصبح -كلما رآني- يتجاهلني.

## الاتحاديون في السلطة يتنكرون لكل من ساعدهم

اتخذ الاتحاديون من منزل في شارع شرف باستانبول «مركزا عاما» لجمعيتهم. تولى الاتحاديون الحكم وسرعان ما اداروا ظهورهم لكثير من الرجال الذين عملوا كثيرا ولمدة سنوات طوال ضد عبدالحميد. واصبح كل شيء في الدولة في ايدي مجموعة من الملازمين اعضاء الاتحاد والترقي.

## الاتحاديون يشترون ضمير صحفي اشتراكي

اصدر حسين جاهد (وهو صحفي ماسوني اشتراكي) هو وبعض صحبه جريدة باسم طنين. بدأ جاهد يكتب المقالات ضد الاتحاديين. واخيرا (اشترته الجمعية) بدفع مبلغ ضخم اشترت به الجريدة.

## الجراكسة والالبان والعرب: في اعقاب الاتحاديين

في نفس الشارع الذي افتتح فيه الاتحاديون مركزهم العام، قام الجراكسة بافتتاح المنتدى الجركسي. وبعد مدة اخرى قام العرب بافتتاح (جمعية خيرية) لهم. ثم قام الالبانيون بطلب استقلالهم عن الدولة العثمانية. وبالفعل استقلت البانيا. ومازال حكام البانيا (حتى كتابة هذه المذكرات) من هؤلاء الذين تعلموا في مدارسنا. كما ان حكام البانيا الذين عملوا على استقلال بلغاريا عنا، هم هؤلاء الذين تعلموا في مدارسنا. اما استقلال العرب، فقد عمل له الشباب العرب الذين درسوا في مدارسنا.

## اوربا تهدأ بعد اضعاف عبدالحميد

قام الحكم المشروطي عندنا، فهدأت اوربا واستراح الاوربيون. وكان في اوربا وفي مصر وخاصة في باريس مجموعة من الشباب سميت باسم «تركيا الفتاة». كان هؤلاء يصدرون منشورات ضد عبدالحميد. لكنهم على الاثر كانوا ينتقدون بعضهم البعض بدافع من التنافس والمنفعة الشخصية.

## احمد رضا وعداوه لعبدالحميد

أصبح هؤلاء الشباب على مجموعتين، الاولى ويرأسها احمد رضا، والاخرى مجموعة ميزانجي مراد. وكان الامير صباح الدين (صاحب مبدأ المركزية) ضد احمد رضا. وكان الامير صباح الدين هو الذي يدير المجموعة الثانية. كان هؤلاء ينسون احيانا عداءهم لعبدالحميد ويشتغلون بمهاجمة بعضهم البعض على صفحات الجرائد. اما الدكتور اسحق سكوتي فقد كان أهم عنصر فعال امام احمد رضا. اني اتذكر اسحق سكوتي جيدا. كان طبيبا وهرب الى اوربا.

## الاتحاديون والبرلمان

كون الاتحاديون في مجلس المبعوثان، فرقة او تكتلا يؤيدهم. وكان اعضاء البرلمان -باستثناء ثلاثة او خمسة اعضاء- مؤيدين للجمعية او يدخلون في اطار الحزب. لكن هؤلاء البرلمانيين المؤيدين كانوا عديمي السلطة. كان الاتحاديون يضغطون على مجلس المبعوثان، فتصدر القرارات لصالح الاتحاديين. الاتحاديون يستندون على الجيش. هذه هي روح هذا النظام الذي يسمى بالمشروطية.

## الاتحاديون وسياسة البطش

بعد اعلان المشروطية (وهي النظام السياسي الاوربي) قامت النمسا بضم منطقة البوسنه والهرسك العثمانية اليها. نظمت جمعية الاتحاد والترقي المظاهرات عند ضياع البوسنه والهرسك منا. كان كل اعضاء الجمعية البارزين جهلاء. مثال ذلك طلعت، الذي لم يتعلم اكثر من الرشدية (الاعدادية). كان عاملا بالبريد في سلانيك. كان اكثر ضباط الجمعية من رتبة الملازم، وتنقصهم التجربة. بدأ الحكم المشروطي بالقوة والبطش، وكانت هذه هي موضة العصر.

